القول في شعر امرئ القيس
بنيوية اللافظ وسردية الملفوظ

الدكتور عواد كاظم الغزي
كلية الآداب - جامعة ذي قار

ينبغي للدراسة البنيوية وهي تستقصي سياقات محددة أن تستعين بالقراءة الاستكشافية وما تستدعيه من مرتكزات أسلوبية وتحليلية ، وإذا ما حولنا اتخاذ ذلك سبيلا في استقراء شعر امرئ القيس استقراء بنيويا فإننا نجد أن الديوان يأتلف فيه واحد ومائة نص شعري تتقاسمه البنيات الفنية الأربع ، بنية النص التقليدي، وبنية النص المباشر، وبنية المقطوعة، وبنية الرجز (١)

ومن ثم تحيلنا القراءة الاستكشافية ونحن نستقصي المقولات الحوارية وتشكيلاتها البنيوية في الديوان إلى أنها تكتنف ستة وثلاثين نصا شعريا تختلف سياقاتها من نص إلى آخر ، على أنها تقوم على مائة مقولة حوارية ، وبذلك تكاد البنية الأفقية في ديوان امرئ القيس أن تظهر تكافؤا في المقولات الحوارية مع النصوص الشعرية :

النصوص الشعرية ١٠٠
المقولة الحوارية ١٠١

وأما البنية العمودية للنصوص الشعرية فإن المقولة الحوارية تتجلى فيها وهي متكررة سياقيا في النص الشعري (٢) أو قد يكون ظهورها ظهوراً مفرداً (٣) على أنها في كلتا الحالتين تكاد المقولة أن تكون متشكلة من الجذر الثلاثي (ق – ا - ل) إذ هيمن ظهوره السياقي على ست وثمانين مقولة ، في حين كانت المقولات الأخر تتناوب في استدعاء سياقات (سمع/ نادى/ كلم/ خفض/ صوت/ بلغ/ حدث) وبذلك يغدو الجذر السياقي (قال) بؤرة بنائية نصية تستحوذ على اغلب أزمان النصوص الشعرية :

الجذر	ماضي	مضارع	أمر	مصدر	المجموع
قال	٤٥	٢٩	٥	٧	٨٦

ولما كان البناء اللغوي للصيغة الحوارية (قال) يتشظى إلى بنيات لغوية فرعية، فلا ريب أنه ينتظم في المعجم اللغوي دلاليا على أنه ((كل لفظ قال به اللسان تاما كان أو ناقصا .....قال سيبويه: وأعلم أن قلت في كلام العرب إنما وقعت على أن تحكي بها ما كان كلاما لاقولا يعني بالكلام الجمل.....ويعني بالقول الألفاظ المفردة التي يبنى الكلام منها))(٤)، ويقال للرجل ((تقوالة ، أي منطيق ، وقوال وقوالة أي كثير القول .... واقتال قولا ، أي اجتر إلى نفسه قولا في خير أو شر)) (٥) وكان شيوع الصيغة (قال) يلحق دلالة الفعل بدلالة المصدر، فالقيل ((القول اسم كالسمع من السمع ، والعرب تقول كثر فيه القيل والقال، ويقال اشتقاقهما من كثرة ما يقولون : ((قال وقيل)) ، ويقال : بل هما اسمان مشتقان من القول، ويقال قيل على بناء فعل ،وقيل على بناء فعل ،كلاهما من الواو))(٦) ومنه يقال ((رجل قائل من قوم قول ،وقيل ،وقالة)) (٧)

ولكننا لانعدم أن نجد الصيغة (قال) واشية بغير معناها في سياقات حوارية، إذ تشير إلى مقولات مسكوت عنها في خلد الشخصية يبئرها المتلقي بوساطة تأويلها بالظن أو الرجحان :

-إذا ما جرى شأوين وابتل عطفه
يقول هزيز الريح مرت بأثأب (٨)

-إذا ذقت فاها قلت طعم مدامة
معتقة مما يجيء بـه التجـر (٩)

-إذا قلت هذا صاحب قد رضيته
وقرت به العينان بدلت به آخرا (١٠)

-إذا أقبلت قلت ذباءة من الخضر مغموسة في الغدر (١١)

ويكاد السياق النصي أن يسحب دلالة الصيغة إلى ما يرتجى وقوعه في المستقبل بوساطة صيرورة أداة الشرط (إذا) ودلالتها المستقبلية في صدارة السياق ، فينزاح بدلالة الصيغة الحوارية (قال) من (النطق) إلى (الظن والرجحان) .

كما لانعدم أن نجد الصيغة الحوارية (قال) دائرة في سياق نصي موجه إلى فاعل غير لافظ ، أو ملفوظ لفاعل غير لافظ :

-جالت لتصرعني فقلت لها اقصري
إني امرؤ صرعي عليك حرام (١٢)
-فقال هـداك الله إنك إنـــما
دعوت لما لـم يأته سبع قبلي (١٣)

ولكن هذه الصيغة الحوارية وإن فارقت دلالتها على التلفظ فأنها ظلت لاحقة بالبناء اللفظي للصيغة الحوارية (قال) وتتضافر معها في تشكيل شرائح بنائية متماثلة سياقيا في موتيفات شعرية مختلفة ومتنوعة الزمن تشكل المظهر البنيوي (أ) في شعر امرئ القيس، ذلك أن التفاعل اللفظي خاصية واقعية أساسية من خصائص اللغة (١٤)

إن التنظيم الذاتي للصيغة الحوارية (قال) على الرغم من ظهوره البنائي المنتظم بمظهر لغوي واحد إلا أنه يشظيها إلى ثنائية ضدية دلالية:

لافظ ⟸ قال ⟹ لافظ

ومن ثم فأن هذه الثنائية تتماهى وتندغم ببعضها لغويا لأجل ثنائية أخرى تفارقها في بنائها اللغوي، وتنتظم في المظهر البنائي (ب)، إذ استدعى السياق النصي في المظهر البنائي (ب) الصيغ الحوارية (سمع/ نادى/ كلم / صوت/ صدى /حدث / أخفض/ بلغ)(١٥) وتكاد الصيغ الحوارية في المظهر البنائي (ب) أن تتضافر في جزء كبير من دلالاتها، فدلالة السمع تلمح إلى قولهم ((هذا قبيح في السماع، وحسن في السماع ، أي إذا تكلم به)) (١٦) وليس ثمة مشاحة بينه وبين دلالة الكلم على الذي ((يكلمك وتكلمه)) (١٧) وتقترب منه دلالة الصدى أي الصوت بين الجبل ونحوه يجيبك على صوتك (١٨) ومثله التصويت في دلالته على التلفظ ، فالصائت بمعنى ((الصائح)) (١٩) وتلمح المناداة إلى تلفظ واش بمفهومية معناه ، فناداه ((أي دعاه بأرفع صوت)) (٢٠) وأما دلالة التبليغ فتعني ((ما يبلغك من الخير الذي لا يعجبك)) (٢١) والأحدوثة ((الحديث نفسه))(٢٢) في حين يحيلنا الخفض إلى ((نقيض الرفع)) (٢٣)

وتشي دلالات الصيغ الحوارية بأنها دالة على التلفظ دلالة غير مباشرة، فهي الظهور الثاني للجذر (قال) في شعر امرئ القيس، ومنسوبة إلى لافظها نسبة غير مباشرة أيضاً، ودالة على الحوار في أضيق معانيه بوصفه شكلا من أشكال التفاعل اللفظي(٢٤) ، وفي هاتيك الظهور

والاسناد تتولد ثنائية لغوية سياقية بين المظهرين البنائيين(أ/ ب) تتطابق في الدلالة وتختلف في البناء :

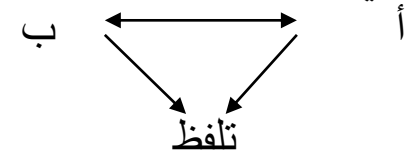

على أن السياق الشعري الحواري في ديوان امرئ القيس يظهر اكتنافه الدلالة على التلفظ في ثيمة تنظيمه الذاتي البنيوية، فتغدو الصيغة الحوارية في (أ، ب) منسوبة إلى فاعل لافظ، ولا ريب في ذلك فأن الصيغة الحوارية دالة على الفاعل (القائل / التقوالة) يستجلى بنيوياً في ظهور مباشر وغير مباشر، إذ يشي ظهور الفاعل العاقل بالمباشرة، وظهور الفاعل غير العاقل في باللامباشرة:

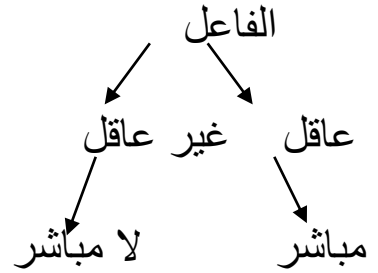

وتكاد ثنائية المباشر / اللامباشر أن تهيمن على الشرائح الحوارية ، ويشي طرفهاالأول (الفاعل العاقل) في مباشرته بالوجودية الحياتية (ح) مما أباح تنوع الفاعلين العاقلين وتعددهم (الشاعر/ الصاحب/ المرأة/ المخاطب/ الغائب/ الجماعة) في حين يشي طرفها الثاني (الفاعل غير العاقل) في لامباشرته بالفناء (م) فتطابق فاعلها في كينونته الحيوانية واختلف في دلالته الوجودية، إذ كانت الناقة حاملة الإنسان الجاهلي إلى بؤرة الصراع الحياتية [٢٥] في حين كان الذئب قسيم الإنسان وخصمه في وجوديته الحياتية، فهو مرآة لمحنة الشاعر وتجسيد حقيقي للبطل الخاسر [٢٦]

إن الثنائية الفاعلية الضدية (ح + م) ينجذب كل طرف منها إلى طرف في الثنائية المظهرية (أ + ب) انجذابا يحتمه التأويل البنيوي ذلك أن البؤرة البنيوية الحوارية المكتنهة في صيغة (قال) تسحب إليها الطرف (ح) وتنفر من الطرف (م) الذي ينجذب بدوره سياقيا ودلاليا إلى المظهر البنائي (ب) في تشكيل ضدي :

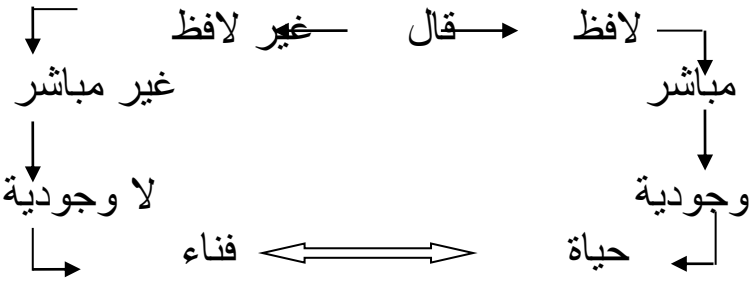

وبذلك يغدو ملفوظ الفاعل العاقل دالا مباشرة على الوجودية الحياتية (أ ح) وملفوظ الفاعل غير العاقل دالا دلالة غير مباشرة على الموت في بنية مولدة جديدة (ب م):

أ ح ⟺ ب م

وفي هاتيك الدلالة يتضافر الفاعل غير العاقل دلاليا مع الدلالات النصية الأخر، ويشي بالخواء ، فقد كان الطلل في شعر امرئ القيس جزئيا نصية دالة على الضعف والفناء ومعادلا مأساويا لمرحلة الشيخوخة والضعف مقابل ايجابية الذات الشاعرة التي تمثل عالما مركزي الأهمية(٢٧)

وليس بنا حاجة للقول إن البنيوية السياقية في ديوان امرئ القيس قد ولدت سياقا ثنائيا صنديا أخر تمثل في اندغام الصيغة التلفظية بالفاعل اللافظ يمسك أحد طرفيها بالبؤرة السياقية التلفظية وتنزاح إليه البؤر المتحققة في الديوان جميعا.

لقد كانت المقولات الحوارية للفاعل البنيوي غير العاقل(ب م) واشية دلاليا بأنها فلسفة الفاعل البنيوي العاقل في الوجود، وحتمية الموت التي توسوس في عقله الباطن، وما يكتنفها من صراعات نفسية وآيديولوجية إذ تحيلنا شريحة (ب م) إلى أن صراع الشاعر مع الحياة، وشخوص الموت والفناء في وجهة نظره، وزوال أمله المنشود يمثله الفاعل البنيوي (الناقة) تمثيلا غير مباشر على الرغم من خضوعها لوجهة نظر الراوي وتغييب ملفوظها، وصيرورتها شخصية مرويا لها، ومسروداً عليها، على أن إصغاءها للموتيف الحواري وتجسدها في شخصية سردية لا يعني خروجها عن ميكانيزمات السرد وعدم رغبتها في وجود حوار (دايلوك) مع الشخصية المقابلة، بل يعني أن الفاعل البنيوي (الشاعر) مال إلى اسكاتها رغبة منه في اخضاعها بنيويا لمكنوناته الفكرية :

جالت لتصرعني فقلت لها اقصري

إني امرؤ صرعي عليك حرام (٢٨)

كما أن تلاشي أحلامه واستسلامه لليأس وآيديولوجية ظهوره المجتمعي وطلبه السيادة واسترداد الملك ودعوة الملوك والأصحاب إلى مناصرته كان قارا في عقله الباطن مع علميته بعدم سبقه إلى مثل هذه الدعوة التي تتجسد في ملفوظ الفاعل البنيوي (الذئب) تجسيدا غير مباشر :

فقال هداك الله إنك إنــما

دعوت لما لم يأته سبع قبلي (٢٩)

وبانفراد شريحة (ب م) بمقولتين حواريتين (مُصغى لها / مَصغي إليها) تعاقب على أدائهما فاعلان (الناقة / الذئب) غدت البؤرة التلفظية في ديوان امرئ القيس التي تجمع بين فاعلين متضادين (مؤنث / مذكر) أي (مُفترِس / مُفترَس) بؤرة متضادة دلاليا تظهر فيها هيمنة الصراعات النفسية والوجودية على العقل الباطن ، مما أسهم في انقسام الفاعل البنيوي في الشريحة السياقية الوجودية (أ ح) انقسام ضديا إلى فاعلين مؤنثين وفاعلين مذكرين ، كما أن التضاد الدلالي أوجب أن تلتحق الفواعل المؤنثة في الشريحة (أ ح) بالفاعل المؤنث في الشريحة (ب م) وأن تماثلها في خضوعها لوجهة نظر الشاعر ، كي يتلذذ بها بحسب أقانيم صراعاته الداخلية في سياقات متعالقة ارضاء لطموحه الكامن في لاوعيه :

الفاعل المؤنث	وجهة نظر الشاعر	الصفحة
فقالت ، تقول		
فقالت	دخلت الخدر	١١
فقالت	فجئت وقد نضت لنوم	١٤
وقالت	سموت إليها	٣١
وقالت	فإن تنأ	٤٢
قولها	يا هند لا تنكحي	١٢٩
يرعن إلى	فلما دنوت تسيدتها	١٦٠
صوتي	أروح مرجلا	١٦٠
تقول	فجاءت قطوف المشي	٢٤١
فتقول	وقضبت قيمها	٢٤٤
وقال قواليه	صحا القلب	٢٦٥
قالت الخنساء	شاب بعدي رأس هذا	٢٩٣
تقول ابنة	لما عزفت في الصبا واللهو	٣٠١
الكبرى	أراك اليوم مكتئبا	٣٤٦
قالت	أفبعد كندة تمدحن قبيلا	٣٥٨
قالت		

إن الفاعل المؤنث في ظهوره الافرادي والجمعي يتحايث في بؤرة بنائية واحدة تهيمن عليها وجهة نظر الراوي ، وينقاد إلى دلالة واحدة تتجسد في خضوعه لما سيلقي الراوي وما يدور في لاوعيه في صراعات وجودية ونفسية تتحقق بها ذاته بوساطة هيمنته على الشخصية وعلميته بوعيها .

وأما الفواعل المذكرة في الشريحة (أ ح) فأنها تلتحق بالفاعل المذكر في الشريحة ((ب م) وبغرائبية وجوده عيانيا ، وفاعلية ظهوره غير المباشر :

الفاعل المذكر	وجهة نظر الشاعر	الصفحة
يقولون	لا تهلك أسى وتجمل	٩
فقلت	سيري وأرخي زمامه	١١
قلت	هاتي نوليني	١٥
فقلت	ألا أيها الليل الطويل	١٨
فقلت	يمين الله ابرح قاعدا	٣٢
فقال	قد شأونك فاطلب	٥٠
فقلنا	إلا انزلوا فغالوا	٥٢
فقلت	لا تبك عينك	٦٦
قلت	روحنا أرن قرانق	٦٧
قلت	هذا صاحب رضيته	٦٩
أنادي أو	ألما على الربع القديم	١٠٥
أكلم	ألا هذا صوار وعانة	١٧٢
فقال	صوب ولا تجهدنه	١٧٤
فقلت	ألا قد كان صيد لقانص	١٧٥
فقلنا	من القول لما لا يزال	١٨٦
قلت	يؤثر عني	١٩٧
أقول	لهم بجل	٢٠٢
يسمع	كل منطقهم	٢٠٥
قلت	فداؤه أهلي	٢١٣
لقلت	الموت حق لا خلودا	٢١٢
قلت	بالله له تزبدها	٢٤٠
قولي	ترفعوا	
فأقول	مس إن مثلك	٢٤٤
قولا	ما غركم بالأسد الباسل	٢٥٦

الفاعل المذكر	وجهة نظر الشاعر	الصفحة
قال الفتيان	أرى الملك الكندي	٢٦٥
فقال	لذ وأسهر	٢٦٨
قيل	إلا أركب إن ركبت	٢٧١
قيل	مسيرا	٢٧١
نادى	من يسر وقد هديت	٢٧٣
اخفض	من هاد	٢٧٣
فقلت	بأن ألق الحبال معا	٢٧٥
أقول	لا ترع أحدا	٣١٢
وقولا	في أرق العداد عداد	٣٢٤
قلت	إن قلبي مقصر	٣٢٥
أقول	عوجي على من	٣٣٣
أقل	تخلفوا	٣٣٦
فقل	أبياتا جيادا حفظها	٣٣٦
فقل	النجاء وقد بدت	٣٣٦
فقلت	هلم إلي	٣٤٣
فقال	لها وجها من الحق	٣٤٣
ابلغ	مارأت عيناك أو ما	٣٤٨
ابلغ	أحطته	٣٤٨
ابلغ	أبن لي وبين لي	٣٤٨
قالوا	أبيت اللعن	٣٥٩
	أني أفقر خابرا	
	أني أفقر خابرا	
	أني أفقر خابرا	
	هل أنت قاض	

وقد مهدت عائمية وجود الأصحاب والقوم في حياة الشاعر إلى تناوسه بين ثنائيات بنيوية أخر تدور في فلك الثنائية (ح / م) فالبكاء والفرح تارة، والموت والحياة تارة أخرى، كما أسهمت في ظهور الشكوى من الجور والإساءة وأدت به إلى الاستسلام تارة والجلد والاستبسال تارة أخرى مما يشي بأن أمنيات الشاعر تتصارع في لاوعيه ،فيميل إلى الفروسية كلما لاح له أمل، ويحاول التعالي على انكساراته النفسية واحباطاته الذاتية من دون جدوى الإمساك بأحلامه الضائعة ، إذ كان الفاعل المذكر في ظهوره الإفرادي والجمعي متفارق

وجوديا ، فتارة مقدم على الأهل ومرضي عنه أو مقصود لذاته ، وتارة معرض عن الشاعر مما يشي بانفلاته من الخضوع والهيمنة لوجهة نظر الشاعر ، بل يكاد الشاعر أن يكون مشارك الفواعل البنيوية في وجهة نظرها بوساطة أساليب الاستفهام والعرض أو أن يخضع لها أحيانا بوساطة الإخبار .

إن مقولة العامل البنيوي اللافظ في الشعر تنثره في فضاء الحكي ثم تدغمه إسناديا بالمقولة الحوارية، فيتقنع بالشخصية السردية ومقولاتها الحوارية، ولا مشاحة بين الفاعل العاقل وغير العاقل بوصفه شخصية سردية، ذلك أن الراوي قد يستدعي الشخصيات السردية من خارج الواقع الحياتي أو قد يوظف اللاشخصـية في ملامحها بوظائف الشخصية السردية مثل الزمان والدهر والتأريخ [٣٠] على أن هذه الشخصيات تتناوب دلاليا في أخذ أطراف المقولة الحوارية من الراوي بوصفه شخصية سردية مشاركة:

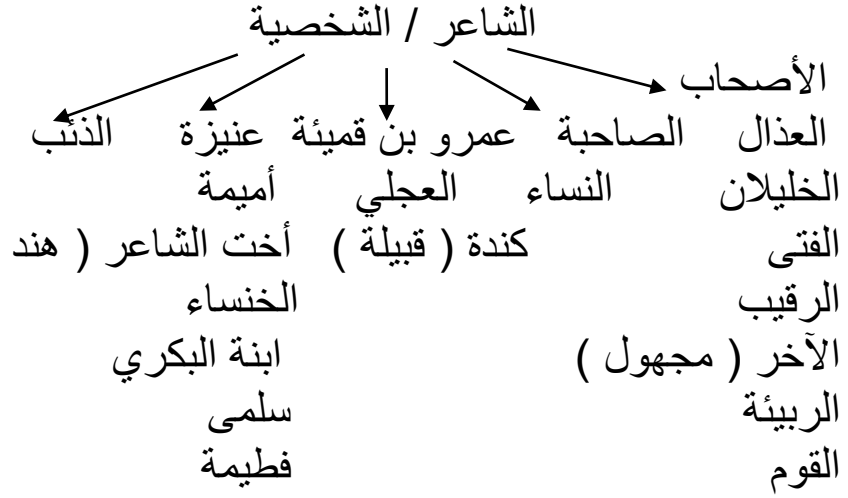

لقد كانت الشخصيات اللافظة تتناوب في الظهور بين شخصيات جمعية ومفردة كما أن الظهور الجماعي والفردي ينقسمان إلى ظهور ذكوري وأنثوي ، وتتعرض الشخصيات إلى انقسام آخر إلى معلومة ومجهولة :

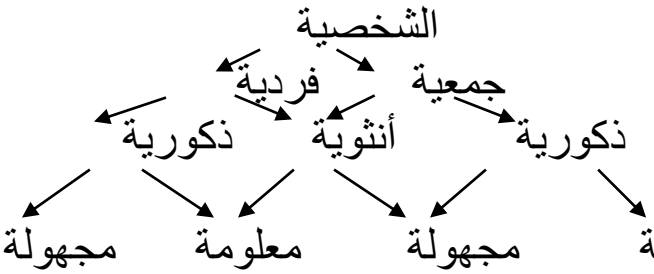

وظلت الشخصيات اللافظة تتزيا بظهورها الأنسي في الأعم الأغلب في حين انفردت الشخصية غير اللافظة في ظهور غير أنسي مغاير لظهور

الفواعل البنائية فنياً، فقد تمكن الشاعر/ الراوي من انطاق (الذئب) بوصفه فاعلاً بنيوياُ، واجاز أنسنته حوارياً، إذ كلفه بالمظهر الوجودي العياني الذي وشى به بنيويا وتبنك به سرديا .

إن الاستقراء السردي للحوار في شعرامرئ القيس يوحي بأن الصيغة البنائية (قال) هي رأس المقولات الحوارية السردية بين الشخصيات المتحاورة ، وأنها الموتيف المهيمن على ظهور الحوار سردياً، كما أنها تتصدر مقول القول، ويشكل القول من جهته صلة مقولية بها، على أن هذه المقولات تأتي استجابة حوارية لسياقات شعرية متنوعة ، فلا يصدق عليها ما قيل عن بساطة بنيتها السردية ، وضيق مساحتها النصية [٣١] إذ قد يأتي الحوار اخبارا عن ملفوظ الشخصيات المحايثة للراوي:

- وقوفا بها صحبي علي مطيهم
يقولون لا تهلك أسى وتجمل [٣٢]

- ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة
فقالت لك الويلات إنــك مرجلي
تقول وقد مال الغبيط بنا معــا
عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزلي [٣٣]

لقد أوجب الإخبار عن الشخصيات/ الشخصية ظهور الصيغة الحوارية (قال) نصيا من جهة، كما اوجب تصدرها الاستجابة الشعرية للسياق النصي من جهة أخرى.

ولا يتقيد الحوار في شعرامرئ القيس بكرنولوجية نصية واحدة ، إذ قد تأتي الصيغة الحوارية (قال) منزاحة عن الإخبار ومتجهة إلى الاختيار والتفضيل بوساطة ظهورها في بنية حدث تتجسد بعض أفعاله قوليا ، مما يصيرها استجابة نصية للتنويع الشعري في تلاحق أحداثه :

أدامت على ما بيننا من مودة
أميمة أم صارت لقول المخبب [٣٤]

إذ يحيلنا التنويع الشعري للحدث بوساطة الأداة (أم) إلى الإختيار والتفضيل ، ذلك أنها تتوسط بين حدثين ثانيهما واش بظهوره في بنية الحوار التي غدت دلالة نصية موحية بفعل الشخصية.

ولم تكن امبيريقيا الظهور السردي للحوار هي الغالبة على وسائله بل قد يكون الحوار منجذبا إلى الوصف الذي يغدو صورة سردية متعالية على الوصف ومتدنية عن الأحداث السردية (٣٥) فيتماهى الحوار بالوصف وتتناسل منهما حركة تكسر جمود الوصف ، وتقصر عن اللحاق بالزمن السردي ويكونان صورة سردية أكثر رقيا من الصورة الوصفية :

فبيـنا نـعاج يـرتعين خـميلة
كمشي العذارى في الملاء المهدب
فكان تناديا وعـقد عــذاره
وقـال صاحبي قـد شـأونك فاطلب (٣٦)

لقد كانت الفواعل السردية موصوفة الحركة (يرتعين/ كمشي)، ومن ثم صير الحوار موصولا بها حديثاً، ودالا على تطور الحدث وانتقاله من الوصف إلى الصورة السردية، فالحدث السردي، مما اخرجها من كناسة الوصف وألحقها بالصورة السردية.

ولكن الصورة السردية لا ننضبط في امبيريقية واحدة في شعر امرئ القيس، إذ قد تتعرض إلى انزياح أسلوبي بنائي فتأتي لاحقة للمقولة الحوارية في صيغتها (قال)، مما يسهم في نقل الصورة من الوصف إلى الامتلاء السردي الصوري:

-إذا قلت هاتي نوليني تمايلت
على هضم الكشح ريا المخلخل (٣٧)
- ولـو خيـر اللونيـن أيهما له
لقال سوى هذا ولـو كـان ازهـرا (٣٨)

إن الصورة الوصفية الشعرية ما كان لها أن تنفرط عن الجمود إلا بوساطة صدارة الصيغة الحوارية للسياق ، فغدا السياق نابضا بالحركة ونافرا من الجمود إذ بث جزء من حركة الفعل (قلت / قال) وزمنيتهما في الوصف ، فانزاح عن الثبات ، ولما كان الحدث في المنهج السردي يتخذ أنماطا وانساقا عدة ، فإن ورود الموتيف الحواري في نهاية النص يبيء له وظيفة سردية بنائية تتجلى في اسهامه بصيرورة النسق الحدثي ذا بنية

مروحية ، إذ يستدرك بالحوار نهاية النص وخاتمة على ابتدائه ومقدمة ،مما جعل الحدث يعود على بدايته :

يـا هنـد لا تنكحي بـوهة
علـيه عقيـقتــه أحســبا
مـرسعة بــين أرساغه
به عسـم يـبتـغي أرنـبـا
لــيجعل فــي كفه كعبـها
جذار المنيـة أن يــعطبـا
ولسـت بخزرافـة في القعود
وليسـت بطياخــة أخـدبـا
ولست بــذي رثـيـة إمـر
إذا قـيد مسـتكرها أصحـبا
وقــالت بنفسـي شـباب له
ولـمته قبـل أن يــشجـبا
وإذ هــي ســوداء مثل الفحم
تغشــي المطانب والمنـكبـا (٣٩)

لقد وشى الحدث سرديا بأن المقولة الحوارية في خاتمته مقدمة على الحدث في جزئيته الأولى ومرتدة إليها نسقيا، إذ كانت المقولة الحوارية في خاتمة النص تعود بحركة لولبية إلى مقولة حوارية تلفظت بها الشخصية(هند) في أول الحدث لم يشأ المبنى الحكائي ظهورها :

قالت هند ⟸ يا هند ⟸ قالت هند

كما أن استدارة الحدث إلى بدايته في النصوص الشعرية الجاهلية يلمح بتداخل العناصر السردية في النص الشعري ، ولاسيما الشعر الجاهلي الذي أوجب نظمه الحكائي أن ((يكيف نفسه لاستيعاب آليات سردية عبر مخاطبات وأفعال وشخصيات واسترسال وتتابع في الأحداث))(٤٠)

ولا تكتفي السياقات الحوارية في شعر امرئ القيس بهذه التنويعات ، بل تكاد أن تظهر نمطا أخر متطورا عن الحوارات متصدرة السياق والحدث النصي معا :

تـقول لي ابنة البكرى لما

عزفت من الصبا واللهو بـالا
أرى الملك الذي قد كان فينا
يـفيد رغائبا ويفيت مـالا
.....
.....
فقلت لها وقول الحق مما
يميل ولو عدلت به الجبالا
ألم يحزنك أن الدهر غول
ختور العهد يلتهم الرجـالا (٤١)

لقد تقاسم السياقان الحواريان (تقول / قلت) النص وحدثه ، فشطراه إلى شطرين متقابلين، وغدا الشطر الأول من النص مقابلا بنائيا للشطر الثاني :

ابنة البكري ← الشاعر
تقول ← فقلت
أرى الملك... ← ألم يحزنك...

وفي هاتيك التقابلية البنائية ، يكون السياق الحواري قد تبنى مهمة رصد الأحداث واظهارها في بناء نسقي متناوب بعد أن توقف حدث الجزء الأول من النص الذي انبثق من مقوله ابنة البكري ، وتناوب معه حدث الراوي في بنية الجزء الثاني من النص بوساطة المقولة الحوارية (قلت) وسبقها بحرف العطف (الفاء) .

وعلى الرغم من اتجاه الحوار في شعر امرئ القيس إلى الأخر ، وظهوره محايثا للراوي إلا أنه – الراوي – قد يتجه بالحوار إلى ذاته مبئرا إياها، ورادا نيابة عنها في مونولوج سردي يتخذه منفذا لسرد أحداث بدت له في رؤية حلمية واعية:

أرقت فقلت فـي أرق العداد
عداد موله أرق السهاد (٤٢)

وتكاد المقولة الحوارية المونولوجية أن تتكلف بحيازة بنية الحدث في النص فتأتي معللة (الأرق) ومحددة زمنه وشخصيته ، وواصفة إياها في

بنية تتعالق بها سيبيا يحاول الراوي فيها أن يتكيء على أسباب الإقناع والمحاججة :

فبت بليلة بثت همومي
بها من طول حالكة السواد
رعيت نجومها حتى استقلت
تواليها بغير سياق حاد
أشبهها مقاولتي وقومي
إذا لبسوا السنور للجلاد
وأحزان المحب طرقن وهنا
وأحزاني التي طرقة وسادتي (٤٣)

إن ابتداء الحدث (فبت) في زمن معلوم (ليلة / تواليها) وانقسام شخصياته (مقاولتي/ قومي/ المخب) إلى شخصيات رئيسة وثانوية، يلمح إلى انبلاج الحدث ومكوناته من المقولة الحوارية في صدارة بنية النص (فقلت في أرق.....) على أن الراوي يرتد بالحدث إلى ذاته محاوراً إياها، ونافياً عنها مفارقة السهاد، ومدعياً لها اعتياده عليه (فبت/ رعيت/ أشبهها/ طرقت) واستسلامه له، فثمة ارتباط بين الراوي والأفعال السردية التي تتجسد فيها انفعالاته ومواقفه وفاعليته (٤٤)

ولا منداحة بين الدلالة البنيوية للملفوظ الحواري والدلالة السردية للسياق الحواري إذ يسهم انقسام الأولى إلى دلالة ثنائية ضدية في انقسام الثانية إلى دلالة ثنائية ضدية تتقاسمها ثنائية (الحياة / الموت) على أن الدلالة السردية للحوار تلحق حوارات الشخصيات في هيأتها الأنسية وفي ظهورها الوجودي ، وتلحق حوار الشخصية بهيأتها اللأنسية والمونولوج بمظهرهما اللاوجودي ،ولما كان الحوار الداخلي حوارا غير مباشر ، فلا ريب أن يلتحق بحوارالشخصية غير الأنسية(الذئب) على الرغم من دلالته على اللافظ العاقل بنيويا، وتعني اللاوجودية أن الشاعر والذئب كلاهما ضعيف ويضيع ما كان قد حققه ومعرضان لطبيعة الزمن الزائلة ، وهكذا فأنهما يفقدان الامتلاء ويظهران صفر اليدين (٤٥)

وفي الانشطار يستعين السرد بالدلالات البنيوية للنص ، ويتآزر معها بنائيا فتأتي الدلالة البنيوية للملفوظ والحوار متطابقة :

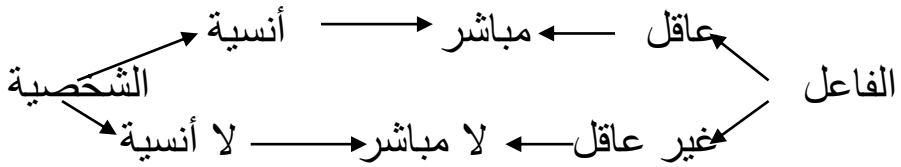

وتفترق الدلالة في الوجودية عن دلالة الفلسفة الوجودية في استرداد الملك والدعوة إلى المناصرة إذ تكفل الحوار السردي غير المباشر بالوشاية دلاليا بأنها فلسفة قائمة على الاستسلام والإقناع بزوال وجودها في لاوعيه وحلمه وغلبة هيمنة الصراع واليأس على أمله الضائع ، وأن الفناء يكتنه ذاته ويلوح أمام شاخصية .

المصادر

١- بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي: د. حميد لحمداني : ط٣ : المركز الثقافي العربي: الدار البيضاء: ٢٠٠٠ .
٢- ترتيب كتاب العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي: تح: مهدي المخزومي وآخر: ط١ : مطبعة قم : ١٤١٤هـ
٣- الدراسة البنيوية لمعلقة امرئ القيس: أعبو أبو أسماعيل: مجلة الفيصل:ع ٩٤ : ١٩٨٥
٤- دراسات في الشعر الحاهلي : د . نوري حمودي القيسي : توزيع دار الفكر بدمشق : ١٩٧٢
٥- ديوان امرئ القيس : تح: محمد أبو الفضل إبراهيم : ط٣ : دار المعارف بمصر : ١٩٥٨ .
٦- شعر أوس بن حجر ورواته الجاهليين – دراسة تحليلية : د. محمود عبدالله الجادر : دار الرسالة للطباعة : بغداد : ١٩٧٩ .
٧- قراءة ثانية في شعر امرئ القيس- الوقوف على الطلل : عمر الطالب : مجلة فصول : ع٢ : ١٩٨٤ .
٨- قراءة معاصرة في نصوص من التراث : د. محمود عبد الله الجادر : ط١ : دار الشؤون الثقافية العامة : بغداد : ٢٠٠٢ .
٩- لسان العرب : ابن منظور : دار صادر للطباعة والنشر : بيروت :١٩٥٥ .
١٠- المبدأ الحواري –در اسة في فكر ميخائيل باختين : تزفيتان تودوروف : تر: فخري صالح : ط١ :دار الشؤون الثقافية لعامة : بغداد : ١٩٩٢.
١١- نحو منهج بنيوي في تحليل الشعر الجاهلي :كمال أبو ديب : مجلة فصول : ع٢ : ١٩٨٤.

الهوامش

(١) ينطر: قراءة معاصرة في نصوص من التراث الشعري:٩
(٢) ينظر : ديوان امرئ القيس : ٢٤٣
(٣) ينظر : م ـ ن : ٢٤٣ ـ٢٤٧
(٤) لسان العرب:٥٧٢/١١ (قول)
(٥) ترتيب كتاب العين : ٣ / ١٥٤١ (قول)
(٦) م ـ ن : ٣ / ١٥٤١ (قول)
(٧) لسان العرب:١١/ ٥٧٣(قول)
(٨) ديوان امرئ القيس : ٤٩
(٩) م ـ ن : ١١٠
(١٠) م ـ ن: ٦٩
(١١) م ـ ن : ١٦٦
(١٢) م ـ ن : ١١٦
(١٣) م ـ ن : ٣٦٣
(١٤) المبدأ الحواري- دراسة في فكر ميخائيل باختين:٦٣
(١٥) ينظر : ديوان امرئ القيس: ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١١٩ ، ١٢٧ ،/ ٢٠٢ ، ٢٧٣ ، ٢٨٩ ، ٣٤٢
(١٦) ترتيب كتاب العين : ٢ / ٩٧٨
(١٧) م ـ ن : ٢ / ٨٥٤
(١٨) م ـ ن : ٢ / ١٠١٨
(١٩) م ـ ن : ٢ / ١٥٩٢
(٢٠) م ـ ن : ٢ / ١٧٧٦
(٢١) م ـ ن : ٢ / ١٩٠
(٢٢) م ـ ن : ٢ / ٣٥٤
(٢٣) م ـ ن: ٢ / ٥٠٧
(٢٤) ينظر المبدأ الحواري- دراسة في فكر ميخائيل باختين:٦٣
(٢٥) ينظر شعر أوس بن حجر ورواته الجاهليين:٣٣٣
(٢٦) ينظر : نحو منهج بنيوي في تحليل الشعر الجاهلي : ١٠٩
(٢٧) ينظر : قراءة ثانية في شعر امرئ القيس ـ الوقوف على الطلل:١٦٢

(٢٨) ديوان امرئ القيس :١١٦
(٢٩) م ـ ن :٣٦٣
(٣٠) ينظر : بنية النص السردي : ٥٢
(٣١) ينظر : دراسات في الشعر الجاهلي : ٢٨ ـ ٢٩
(٣٢) ديوان امرئ القيس : ٩
(٣٣) م ـ ن : ١١
(٣٤) م ـ ن : ٤٢
(٣٥) ينظر البنى السردية قي شعر أوس بن حجر وشعر رواته الجاهليين: ١٥٨
(٣٦) ديوان امرئ القيس : ٥٠
(٣٧) م ـ ن : ١٥
(٣٨) م ـ ن : ٢٦٥
(٣٩) م ـ ن : ١٢٨ ـ ١٢٩
(٤٠) ملامح السرد في القول الشعري العربي القديم : ٩
(٤١) ديوان امرئ القيس : ٣٠٨ ـ ٣٠٩
(٤٢) م ـ ن : ٢٨٨
(٤٣) م ـ ن : ٢٨٨
(٤٤) ينظر : الدراسة البنيوية لمعلقة امرئ القيس : ١٣٠
(٤٥) ينظر: نحو منهج بنيوي في الشعر الجاهلي :١٠٩